

تفسير ابن كثير

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ

وقوله : (فكان قاب قوسين أو أدنى) أي : فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد - صلى الله عليه وسلم - قاب قوسين أي : بقدرهما إذا مدا . قاله مجاهد ، وقتادة . وقد قيل : إن المراد بذلك بعد ما بين وتر القوس إلى كبدها . وقوله : (أو أدنى) قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه ونفي ما زاد عليه ، كقوله : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) [البقرة : 74] ، أي : ما هي بألين من الحجارة ، بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة . وكذا قوله : (يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) [النساء : 77] ، وقوله : (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) [الصافات : 147] ، أي : ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة ، أو يزيدون عليها . فهذا تحقيق للمخبر به لا شك ولا تردد ، فإن هذا ممتنع هاهنا ، وهكذا هذه الآية : (فكان قاب قوسين أو أدنى) . وهذا الذي قلناه من أن هذا المقرب الداني الذي صار بينه وبين محمد - صلى الله عليه وسلم - إنما هو

جبريل عليه السلام ، هو قول أم المؤمنين عائشة ، وابن مسعود ، وأبي ذر ، وأبي هريرة ،
كما سنورد أحاديثهم قريبا إن شاء الله . وروى مسلم في صحيحه ، عن ابن عباس أنه قال
: " رأى محمد ربه بفؤاده مرتين " . فجعل هذه إحداهما . وجاء في حديث شريك بن
أبي نمر ، عن أنس في حديث الإسراء : " ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى " ولهذا تكلم
كثير من الناس في متن هذه الرواية ، وذكروا أشياء فيها من الغرابة ، فإن صح فهو محمول
على وقت آخر وقصة أخرى ، لا أنها تفسير لهذه الآية ؛ فإن هذه كانت ورسول الله -
صلى الله عليه وسلم - في الأرض لا ليلة الإسراء ؛ ولهذا قال بعده : (ولقد رآه نزلة أخرى
عند سدرة المنتهى) ، فهذه هي ليلة الإسراء والأولى كانت في الأرض . وقد قال ابن
جرير : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا
سليمان الشيباني ، حدثنا زر بن حبیش قال : قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية : ()
فكان قاب قوسين أو أدنى) ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " رأيت
جبريل له ستمائة جناح " . وقال ابن وهب : حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة
، عن عائشة قالت : كان أول شأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه رأى في منامه

جبريل بأجياد ، ثم إنه خرج ليقضي حاجته فصرخ به جبريل : يا محمد يا محمد . فنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمينا وشمالا فلم ير شيئا - ثلاثا - ثم رفع بصره فإذا هو ثان إحدى رجله مع الأخرى على أفق السماء فقال : يا محمد ، جبريل ، جبريل - يسكنه - فهرب النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى دخل في الناس ، فنظر فلم ير شيئا ، ثم خرج من الناس ، ثم نظر فرآه ، فدخل في الناس فلم ير شيئا ، ثم خرج فنظر فرآه ، فذلك قول الله عز وجل : (والنجم إذا هوى [ما ضل صاحبكم وما غوى]) إلى قوله : (ثم دنا فتدلى) يعني جبريل إلى محمد ، (فكان قاب قوسين أو أدنى) : ويقولون : القاب نصف الأصبع . وقال بعضهم : ذراعين كان بينهما . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، من حديث ابن وهب . وفي حديث الزهري عن أبي سلمة ، عن جابر شاهد لهذا . وروى البخاري عن طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن الشيباني قال : سألت زرا عن قوله : (فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى) قال : حدثنا عبد الله أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - رأى جبريل له ستمائة جناح . وقال ابن جرير : حدثني ابن بزيع البغدادي ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد

، عن عبد الله : (ما كذب الفؤاد ما رأى) قال : رأى رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - جبريل عليه حلّتا رفرف ، قد ملأ ما بين السماء والأرض .